

التنافس حول شبكة خطوط أنابيب الطاقة في منطقة آسيا الوسطى وحوض

بحر قزوين

Competition for energy pipelines in Central Asia and Caspian Sea Basin

رياب بولمشاور^{1*}، جميلة علاق²Rabab BOULEMCHAOUR^{1*}, Djamila ALLAG²¹جامعة صالح بونبندر قسنطينة 3 (الجزائر)²جامعة صالح بونبندر قسنطينة 3 (الجزائر)

2022/06/18

تاريخ النشر: 2022/04/02

تاريخ الإرسال: 2021/10/27

Abstract :	ملخص:
<p>The paper discusses the problem of competition between regional and international actors in Central Asian region and Caspian sea basin, to control and exploit energy resources according to the concept of the great game .</p> <p>Each power sought to influence the paths of the pipelines, according to an extrapolation deconstruction approach.</p> <p>We sought also to highlight impacts on various balances in the region.</p> <p>Keywords: Central Asia; Caspian sea basin; competition; energy security; pipeline tracks.</p>	<p>تناقش الورقة إشكالية التنافس بين الفواعل الإقليمية والدولية في منطقة آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين ، التي تتطلع إلى التحكم في مصادر الطاقة واستغلالها، وفق ما اصطلح عليه "اللعبة الكبرى"، وكان لكل من القوى أجدته للتأثير على اتجاه خطوط الأنابيب ، فوق مقارنة استقرائية وتفكيكية سعينا لإبراز تأثير تلك التنافسية على مسار شبكة خطوط الأنابيب وتأثيرها على مختلف التوازنات في المنطقة.</p> <p>الكلمات المفتاحية: آسيا الوسطى؛ حوض بحر قزوين؛ التنافس؛ أمن الطاقة؛ مسارات خطوط الأنابيب.</p>

* المؤلف المرسل.

1. مقدمة

في ظل تصاعد أهمية الطاقة واشتداد التنافس والصراع بين الدول المصدرة والمستوردة ودول العبور، أصبحت خطوط النفط والغاز الطبيعي من المحددات والقضايا الجوهرية التي تتحكم في جيوسياسية أمن الطاقة في منطقة آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين، في ظل حالة الاستنزاف الطاقوي التي تشهدها منابعه التقليدية.

تؤدي شبكة خطوط الطاقة دورا هاما كون حوض بحر قزوين منطقة داخلية، فهناك حاجة لبنائها للوصول إلى أسواق الطاقة، التي أصبحت مساراتها مرآة للعلاقات الدولية وللاستراتيجيات العالمية، في ظل تنافسية الفواعل الإقليمية والدولية، و التطورات السياسية والاقتصادية التي تشهدها المنطقة.

المشكلة البحثية:

ارتبطت الحاجة المتزايدة للطاقة بتزايد عدد مستهلكيها من الدول الكبرى والنامية عبر العالم، وتسارع وتيرة الاقتصاد العالمي الذي تتضاعف حاجته للطاقة في المرحلة الراهنة بقوة، وبناء عليه تستهدف الورقة بين أيدينا طرح التساؤل التالي : كيف أثر التنافس بين الفواعل الإقليمية والدولية على مسار خطوط أنابيب الطاقة في آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين؟

بغرض الإجابة عن التساؤل المطروح نقتح الفرضية التالية : كلما اشتد تضارب مصالح مختلف الفواعل في المنطقة، أثر ذلك على مسارات أنابيب الطاقة.

بهدف تفكيك التساؤل المطروح واختيار الفرضية التي تم بناؤها، وظفنا بعض الإجراءات المنهجية على غرار المقاربة الجيوبوليتيكية، التي تقوم على تحليل العلاقة بين الأرض والامتداد المساحي لأي إقليم من الأقاليم في علاقته بالتفاعلات السياسية، الأمنية

والاقتصادية، سعيًا لرصد الامتداد الجيوسياسي لمنطقة آسيا الوسطى ومنطقة حوض بحر قزوين، ثم تتبّع مسار خطوط الأنابيب ضمن نفس الفضاء الجيوبوليتيكي، مع طرح نقدي لتنافسية مختلف الفواعل للظفر بنصيب من الوقود يضمن استمرارية العجلة الاقتصادية فيها. تنهيكل الورقة ضمن أربعة محاور رئيسية، يتناول المحور الأول التنافس في منطقة آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين، أما الثاني فخصص لاستقصاء سياسات خطوط أنابيب الطاقة في المنطقة، مع الاتجاه في المحور الثالث إلى معالجة شبكية خطوط الطاقة في المنطقة والمشكلات التي اصطدمت بها، انتهاء بالوقوف على تحديات تدفق نفط وغاز المنطقة نحو الأسواق العالمية.

2. التنافس الدولي في منطقة آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين

تشكل منطقة آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين إحدى المناطق ال هامة في الحسابات والمصالح الاستراتيجية للقوى الإقليمية والدولية، نظرا لاحتياطياتها من النفط والغاز، وترتيبات نقل الطاقة فيها¹.

يعتبر الجغرافي البريطاني هالفورد ماكيندر (Halford Mackinder) أول من سلط الضوء على أهمية الفضاء باعتباره "المحور الجغرافي للتاريخ" أو "قلب الأرض"، تحدث عن منطقة حيوية سماها "جزيرة العالم"، تجمع القارات الثلاث: أوروبا، آسيا وأمريكا وهي منطقة القلب، تمثل الأراضي الروسية من يسيطر عليها يسيطر على العالم، كما أكد أن مستقبل العالم سينطلق من ذات المنطقة².

أطلق التنافس على موارد الطاقة في حوض بحر قزوين اسم "اللعبة الكبرى الجديدة" (New Great Game)، وقد طرح روديارد كيبلينغ (Kipling Rudyard) المفهوم تعبيرًا عن التنافس الاستراتيجي بين الإمبراطوريتين البريطانية والروسية للسيطرة على الأراضي في

أوراسيا خلال القرن التاسع عشر، وفي مرحلة لاحقة خلال تفكك الاتحاد السوفييتي، تضمنت اللعبة الكبرى الجديدة في منطقة بحر قزوين فواعل أخرى مثل الصين وروسيا والولايات المتحدة³.

وسنحاول فيما يلي توصيف هذا الحيز والتفاعلات الجيوسياسية التي يمكن أن يفرزها.

• إقليم آسيا الوسطى:

تمثل المنطقة قلب القارتين الأوروبية والآسيوية، تنتج حوالي 60% من الناتج الاقتصادي العالمي وهي موطن لثلثي سكان العالم، تمتد إلى مقاطعات الصين الغربية في الشرق، وإلى بحر قزوين من الغرب، تشترك في حدود طويلة ناحية الشمال مع روسيا وإيران وأفغانستان من الجنوب، فهي جسر رابط بين آسيا وأوروبا⁴.

تعرف المنطقة بمسمى "الشرق الأوسط الثاني" أو "الخليج الفارسي الثاني"، تعبيراً عما تزخر به من موارد، حيث يوجد بها حوالي ستة عشر حوضاً رسوبياً رئيسياً، بما في ذلك عشرة أحواض لإنتاج النفط والغاز موزعة على الدول المطلة على بحر قزوين، وهي: كازاخستان، أوزبكستان وتركمانستان، التي تحتل مكانة هامة في إمداد العالم بالنفط والغاز⁵.

مع مطلع القرن الحادي والعشرين، بدأت مرحلة جديدة من التحول الجيوسياسي في المنطقة للاعتبارات التالية⁶:

- موقعها الجيوسياسي الهام، فهي محاطة بقوى كبرى لروسيا والصين وأخرى صاعدة مثل: الهند وإيران وتركيا.

- احتياطيات معتبرة من الموارد الطاقوية.

- تتنافس الفواعل الإقليمية والعالمية في أفغانستان، بسبب المصالح الجيوسياسية

المتضاربة والتنافس على الاحتياطيات الكبيرة من الموارد الطاقوية.

• إقليم حوض بحر قزوين:

تتأسس أطروحة ماكيندر حول أن من يحكم أوروبا الشرقية يحكم قلب الأرض، ومن يحكم قلب الأرض يقود جزيرة العالم (أوروبا، وشبه الجزيرة العربية، وأفريقيا، وجنوب وشرق آسيا)، والذي يسيطر على جزيرة العالم، فإنه يقود العالم بأسره، وقد حظيت هذه الفكرة بنهضة زمن التسعينات بعد تفكك الاتحاد السوفيتي ، وخاصة مطلع الألفية الثالثة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001⁷.

من ناحية أخرى يعتبر بحر قزوين أكبر تجمع مائي داخلي في العالم ويمثل %44 من مياه البحيرة في العالم، تطل عليه أذربيجان، إيران، كازاخستان، روسيا وتركمانستان، يتصل بالعالم الخارجي من خلال نهر الفولغا وقناتين تمران عبر روسيا هما:

- قناة (الفولغا-دون) (The Volga-Don) التي تربط بحر قزوين ببحر آزوف.

- والممر المائي (الفولغا-البلطقي) الذي يربط بحر قزوين ببحر البلطيق.

تمتلك المنطقة ما يقدر بـ 48 مليار برميل من النفط، و292 تريليون متر مكعب من الغاز الطبيعي⁸، أصبحت معها الموارد مصدرا للمنافسة الإقليمية والدولية لثلاثة أسباب رئيسية⁹:

أولاً: حاجة دول المنطقة الماسة إلى التكنولوجيا ورأس المال من أجل استغلال مواردها ، فالتدخل الخارجي للقوى الإقليمية والدولية كان ينظر إليه كمسألة ضرورية لنجاح مشروع حوض بحر قزوين.

ثانياً: يمثل حوض بحر قزوين بحراً مغلقاً، يعتمد على شبكة خطوط الأنابيب أو الشحنات عبر الدول المجاورة لنقل النفط والغاز إلى المستهلكين العالميين، على غرار:

- خط أنابيب نفط من باكو إلى ميناء نوفوروسيسك الروسي على البحر الأسود.

- خط أنابيب نفط من كازاخستان متصل بشبكة خطوط الأنابيب الروسية.

- خط أنابيب الغاز في وسط آسيا الذي ينقل الغاز من تركمانستان ، أوزبكستان

وكازاخستان باتجاه روسيا.

بالتالي أصبح البحث عن طرق جديدة لخطوط أنابيب الطاقة مطلب العديد من القوى الإقليمية والدولية، رغم ما تتطلبه من تمويل واستقرار على غرار ما تشهده جورجيا في إقليم ناغورنو كاراباخ، الشيشان، أفغانستان وجنوب شرق تركيا، ومقاطعة شينجيانغ الصينية.

ثالثاً: معاناة دول منطقة بحر قزوين المستقلة حديثاً، من مشكلات انعدام الشرعية، الهشاشة الاقتصادية، واحتمال نشوب نزاعات عرقية.

ازدادت الأهمية الجيوسياسية لهذه الدول نظراً لقربها من بؤر تتصارع فيها القوى الإقليمية الدولية، أبرزها أفغانستان وإيران، إلى جانب اقترابها من منطقة الخليج، والعراق، بالإضافة للتنافس بين كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية لسيطرتها على المنطقة¹⁰.

3. شبكة خطوط نقل الطاقة في منطقة آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين

يتضمن مسمى "سياسة خطوط الأنابيب" موضوعين مترابطين:

أولاً: الصراع للسيطرة على موارد الطاقة في حوض بحر قزوين.

ثانياً: تشابك سياسة خطوط الأنابيب بمسائل استغلال وتصدير هذه الموارد ، فالدول التي لديها الموارد الطاقوية لا تملك التكنولوجيا والقدرة المالية لاستغلالها ، فتضطر للاعتماد على غيرها من شركات النفط الروسية والغربية¹¹.

أنجز أول خط لأنابيب النفط أوائل التسعينات لربط بالكو على بحر قزوين مع باتومي على البحر الأسود، وفي مرحلة لاحقة تم استبدالها بشبكة حديثة من أنابيب الغاز الطبيعي والنفط التي تربط قلب آسيا بأوروبا.

ثم تم ربط بحر قزوين بالعالم الخارجي بخط (باكو-سوبس) عام 1999، ينقل النفط من أذربيجان إلى ساحل البحر الأسود في جورجيا، وخط أنابيب (باكو-تبليسي-جيهان)¹²، الذي

استفاد من دعم سياسي أمريكي خلال إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون، ينقل النفط من منطقة حوض بحر قزوين إلى العالم الخارجي عبر أذربيجان، جورجيا وتركيا. كما بدأ تشغيل خط أنابيب جنوب القوقاز¹³، يربط هذا الأخير حقول الغاز الأذربية بتركيا عبر جورجيا، كما افتتح (اتحاد خطوط أنابيب بحر قزوين الروسية Russia's Caspian Pipeline Consortium) عام 2001، لنقل النفط من كازاخستان إلى الأسواق العالمية عبر ميناء نوفوروسيسك الروسي على البحر الأسود¹⁴. وتتمثل شبكة خطوط أنابيب الطاقة في منطقة بحر قزوين فيما يأتي¹⁵:

● شبكة أنابيب النفط:

- أنبوب أتيرو-سامارا (Atyrau-Samara) بتلغ طاقته الإنتاجية 280 ألف برميل يوميا، يمتد من محطة أتيرو الكازاخية إلى مصفاة الأورال الروسية في سامارا، ثم يتصل بنظام دروزبا الرئيسي بين الشرق والغرب الروسي، يبلغ طول الخط 691.2 كم.
- خط باكو-نوفوروسيسك (Baku-Novorossiysk) يمتد من موانئ النفط خارج ميناء باكو إلى نوفوروسيسك عبر جنوب روسيا، تبلغ طاقته الإنتاجية 180 ألف برميل يوميا.
- خط باكو-سوبسا (Baku-Supsa) يمتد من باكو إلى ميناء سوبسا الجورجي على البحر الأسود.
- خط ديوهندي-باتومي (Dyuhendi-Batumi) يمتد من محطة النفط الأذربية في (Dyubendi) إلى ميناء باتومي الجورجي.
- خط أنابيب (باكو-تيليسي-جيهان) من أذربيجان عبر العاصمة الجورجية تبليسي وتركيا إلى ميناء جيهان على البحر الأبيض المتوسط، ويبلغ طوله 1.730 كم.

● شبكة أنابيب الغاز:

يوجد العديد من خطوط أنابيب الغاز التي تربط الأسواق الأوروبية بأوراسيا، أهمها هي الطرق الروسية، بما في ذلك خط أنابيب الغاز العابرة للبلقان (Trans-Balkan Gas)، و(بلوستريم)¹⁶.

وتشمل شبكة نقل الغاز ما يلي¹⁷:

- خط أنابيب آسيا الوسطى - المركز (The Center Asia-Center)، ينقل الغاز التركماني إلى روسيا عبر كازاخستان إلى نظام غازبروم لأنابيب الغاز ، تبلغ سعته السنوية حوالي 3.53 تريليون متر مكعب.
- خط أنابيب (كوريبيجي - كورت كوي)، هو مشروع مشترك بين الحكومتين التركمانية والإيرانية لنقل الغاز التركماني نحو إيران، يعتبر أول خط أنابيب غاز غير روسي في آسيا الوسطى وتبلغ طاقته السنوية ما يقارب 300 مليار متر مكعب.
- خط أنابيب (طشقند- بيشكيك- ألماتي) (Tashkent-Bishkek-Almaty) مملوك لروسيا وينقل الغاز الأوزبكي إلى جنوب كازاخستان، يعد الخط الرئيسي في أوزبكستان، لتوصيل الغاز إلى قيرغيزستان، تبلغ سعته حوالي 777 مليار متر مكعب.

4. التنافس متعدد الأطراف على خطوط نقل الطاقة في المنطقة

حظيت مسألة مد خطوط أنابيب النفط والغاز باهتمام متزايد بعد الأزمة الأوكرانية والأحداث التي تلتها مطلع الألفية الثالثة، أدت بالقوى الكبرى للعمل الجدي على إيجاد مسارات بديلة أكثر أمانا، علاوة على تقليص التبعية للطاقة الروسية أو المرور عبر مسالك دولية تهيمن عليها.

1.4 مسارات خطوط الطاقة في آسيا الوسطى:

تشكل خطوط نقل الطاقة أهم الدوافع الرئيسية لزيادة الاهتمام الاقتصادي بمنطقة آسيا الوسطى، لاسيما الاستثمارات في إنشائها والتقيب والتطوير في الحقول، حيث تعكس

الخريطة الجغرافية لشبكة الأنابيب النفطية صورة التداخل بين الحسابات الاقتصادية والاستراتيجية، فعزلة المنطقة جغرافيا جعل عملية نقل إمدادات الطاقة إلى الخارج معضلة كبيرة لدول المنطقة كونها تمر في دول لها مصالح.

أهم هذه الخطوط هو خط أنابيب (باكو-تبليسي-جيهان) الذي يضخ نحو مليون برميل يوميا بما يعادل حوالي 1.2% من الإنتاج العالمي، كذلك خطوط الأنابيب التي تمر عبر الأراضي الروسية إلى ميناء نوفوروسيسك على البحر الأسود¹⁸.

مع تفكك الاتحاد السوفيتي، واجهت دول أذربيجان، كازاخستان وتركمانستان تحديا في كيفية توصيل صادراتها من النفط والغاز إلى الأسواق العالمية ، وكان لهول بحر قزوين ثلاثة خيارات لمسارات خطوط الأنابيب¹⁹:

- **المسار الغربي** : سيطرت عليه الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي من أجل نقل النفط والغاز من بحر قزوين إلى جورجيا وتركيا متجاوزا الأراضي الروسية والإيرانية ، وبناء على ذلك، تضمنت مبادرة ممر الطاقة بين الشرق والغرب إنشاء البنية التحتية لنقل الطاقة التي تربط منطقة بحر قزوين بتركيا عبر خط أنابيب (باكو - تبليسي - جيهان)، وخط أنابيب جنوب القوقاز، كما خططت دول آسيا الوسطى الثلاث لبناء خطوط أنابيب عابرة لبحر قزوين، تربط دول شرق بحر قزوين (كازاخستان وتركمانستان) مع باكو في أذربيجان، كما يشار إلى الطريق الغربي عبر أذربيجان وجورجيا وتركيا إلى الاتحاد الأوروبي باسم (طريق الحرير في القرن الحادي والعشرين).

- **بناء خط أنابيب الغاز الطبيعي عبر الأناضول عام 2018 (The Trans-Anatolian Natural Gas Pipeline)**، يربط أذربيجان بتركيا ثم يرتبط بخط الأنابيب عبر البحر الأدرياتيكي، الذي سيمتد من الحدود التركية اليونانية إلى إيطاليا عبر ألبانيا والبحر الأدرياتيكي، والذي كان مقررا إنهاء أشغاله عام 2020²⁰.

- **المسار الشمالي** : بدعمه روسيا، أتاح لأذربيجان وكازاخستان الوصول إلى ميناء نوفوروسيسك الروسي في البحر الأسود ، وأقنعت روسيا كازاخستان ببناء خط أنابيب (اتحاد خط أنابيب بحر قزوين) يمر عبر أراضيها.
 - **المسار الشرقي** : اقترحتة الصين باعتبارها أحد أكبر مستهلكي الطاقة في العالم ، نلأمنأ مع رغبة دول آسيا الوسطى في تنويع طرق تصديرها.
- وتبقى المشكلات الأمنية وعدم الاستقرار السياسي الذي تعانيه أغلب دول المنطقة، العامل الأبرز في تعطيل مسارات نقل الطاقة بعيدا عن الأراضي الروسية، أو المناطق التي تقع ضمن هيمنتها المباشرة.

2.4 التفاعلات الطاقوية للدول الإقليمية:

انحصرت البنية التحتية لشبكة خطوط الطاقة في المنطقة عبر روسيا، وبقيت الدول المستقلة في القوقاز وآسيا الوسطى تمتلك خيارا وحييا لنقل مواردها باتجاه البحر الأسود وأوروبا عبر روسيا، ما ألزمها الدخول في مفاوضات مباشرة وغير مباشرة لنقل مواردها الطاقوية، وهو ما سنحاول استقراؤه فيم يلي مباشرة.

• تركمانستان:

مع التطورات التي شهدتها منطقة حوض بحر قزوين، تغير موقف تركمانستان في لعبة الطاقة منذ افتتاح خطوط أنابيب الصين وإيران، تعهدت بتزويد خط أنابيب (نابوكو)، ولم تقم بتنويع طرق الإمداد فحسب، بل اقترحت على دول آسيا الوسطى الفرصة لتقليل اعتمادها على روسيا كمورد رئيسي للطاقة، وكانت أول دولة تحصل على عقد للطاقة يتجاوز روسيا من خلال خط أنابيب (كورباك- كورت كوي) (Korpezhe - Kurt Kui)، استجابة لطموحها في بناء طرق جديدة للطاقة²¹:

- اقتراح خط أنابيب بين الشرق والغرب لربط حقول الغاز جنوب شرق تركمان ستان مع بحر قزوين، نحو الأسواق الأوروبية.
- اقتراح خط الأنابيب عبر بحر قزوين لنقل الغاز التركماني إلى أذربيجان عبر بحر قزوين، هذا الخط يتجاوز كلا من روسيا وإيران، لكن ما يعيبه هي العلاقات المتوترة بين تركمانستان وأذربيجان حول ترسيم حدود حوض بحر قزوين.
- خط أنابيب تركمانستان، أفغانستان، باكستان والهند، لتلبية حاجة أسواق الطاقة الآسيوية في باكستان والهند.

أبرمت روسيا مطلع 2007 اتفاقا مدته خمسة وعشرون عاما لشراء الغاز التركماني، وآخر مع كازاخستان وتركمناستان هو خط أنابيب الغاز بريكاسبيرسكي (Prikaspirski) ، يضمن لروسيا احتكار تصدير الغاز التركماني.

ثم شرعت (تركمناستان) بالبحث عن طرق عبور غير روسية لتقليل الاعتماد عليها من جهة، ومن جهة أخرى لأنها كانت بحاجة لمساعدة مالية من دول أخرى.

في عام 2007، اتفقت مع الصين على بناء خط أنابيب الغاز ، وفي عام 2009 بدأ تدفق الغاز إليها، حيث استوردت منها أكثر من نصف إجمالي صادراتها من الغاز.

• كازاخستان:

أبدت كازاخستان اهتماما ببناء خطوط أنابيب نقل الطاقة لتجنب المرور عبر الأراضي الروسية، ووفرت خطوط الأنابيب إلى الصين بديلا، كما طورت البنية التحتية للنقل مع أذربيجان، مثل نظام نقل النفط عبر بحر قزوين، ووسعت قدرات الموانئ في جورجيا لجلب النفط الكازاخي إلى الأسواق الأوروبية من خلال ناقلات البترول²².

• أوزباكستان:

أبرمت الشركة الروسية لوك أويل (Lukoil) مع أوزباكستان اتفاقية مشاركة في الإنتاج لمدة 35 عاما بقيمة 1 مليار دولار لصالح حقول غاز كانديم، وتعهدت غازبروم سنة 2005، بالاستثمار في حقل أوستيورت للغاز، ما جعل روسيا العميل الرئيسي للغاز الأوزبكي²³.

• أذربيجان:

من بين التحديات التي واجهته أذربيجان في قطاع الطاقة عدم وجود طرق للتصدير ، تم تأسيس شركة التشغيل الدولية الأذرية لتطوير أكبر احتياطات النفط الآذري-شيراج-غونشلي (Azeri-Chirag-Guneshli)، وتم الاتفاق على التعاون في قضية بناء خط الأنابيب الجديد.

توجد كذلك شركات النفط متعددة الجنسيات، منها شركة لوكاويل الروسية، شركات أوروبية وشركات من اليابان والولايات المتحدة ، حيث يتم تسويق النفط في اتجاهين: عبر طريق (باكو - غروزني - نوفوروسيسك) و(باكو - سوبسا).

اتفقت أذربيجان مع إيران بشأن نقل النفط نحو تركيا عبر الأراضي الإيرانية ، كما أبرمت الدولتين صفقة مبادلة للنفط عام 1995. تعززت العلاقات الثنائية بينهم، ويسبب الضغط من الولايات المتحدة، ألغت أذربيجان الاتفاق، مما أدى إلى تدهور العلاقات الدبلوماسية بين أذربيجان وإيران.

3.4 التفاعلات الطاقوية للقوى الدولية:

علاوة على الدور التقليدي الروسي الذي يعتبر المنطقة امتدادا طبيعيا له، برزت العديد من القوى التي تهدف للحظوة بنصيب لها من موارد الإقليم في مقدمتها الصين، تركيا وإيران.

- الصين:

اهتمت الصين بالاستثمار والتعاون مع روسيا ودول آسيا الوسطى في قطاع النفط، وبحثت إمكانية بناء خطوط أنابيب مباشرة لنقل النفط من هذه المناطق نحوها مباشرة، في محاولة لتفادي الاعتماد على نقل النفط عن طريق البحر، حيث تقع مسارات هتحت حماية وسيطرة الولايات المتحدة، إلا أن هذا الخيار يعوقه أيضا ال نفوذ الأمريكي في المنطقة، التي تسعى لتطويق الصين والحيلولة دون وصولها لدول آسيا الوسطى²⁴.

تتعاون الصين في مجال الطاقة مع كازاخستان وتركمانستان الغنية بالنفط والغاز، وبدأت الشركات الوطنية الصينية الاستثمار في حقول النفط والغاز في آسيا الوسطى، بهدف إنشاء خطوط أنابيب جديدة لنقل الموارد إلى الصين، وبالتالي تنويع وارداتها من الطاقة²⁵.
تم إنشاء خط أنابيب النفط مع كازاخستان، وآخر للغاز مع تركمانستان (ما يسمى "خط أنابيب الغاز بين الصين وآسيا الوسطى") ويشمل أيضا كازاخستان وأوزبكستان²⁶.

- الولايات المتحدة الأمريكية:

دعمت أمريكا منشآت خطي أنابيب (باكو - تيبليسي - جيهان) و(باكو - تيبليسي - أرضروم)، إذ هي من أهم مشاريع القرن الحادي والعشرين ، فهي مشاريع استراتيجية هامة لمصالح الأمن القومي الأمريكي، ترتبط هذه النظرة بالموقع الجيواستراتيجي والمصالح الجيواقتصادي لآسيا الوسطى وحوض بحر قزوين ، إذ يمثل نقطة عبور بين الاتحاد الأوروبي من جهة، نحو روسيا وآسيا الوسطى باتجاه الشرق الأوسط.

من ناحية ثانية يعد ممرا فريدا يربط حوض بحر قزوين بالبحر الأسود، وطريق نقل رئيسي لإمدادات الطاقة لحوض بحر قزوين (متجاوزا روسيا وإيران) إلى الأسواق الغربية. وعليه فقد وفرت مشاريع خطوط الأنابيب آفاقا جديدة لتدخل الولايات المتحدة في المنطقة وأصبح الناتو الضامن الأساسي لأمن خطوط الأنابيب²⁷.

5. تحديات الإمداد الطاقوي من المنطقة نحو الأسواق العالمية

تواجه منطقة حوض بحر قزوين صعوبة في إيصال إنتاجها الطاقوي إلى الأسواق العالمية، فعلاوة على أولوية مسألة بناء خطوط أنابيب جديدة في المنطقة، تمر جميع خطوط أنابيب التصدير عبر الإقليم الروسي.

وعليه فإن استغلال طاقة حوض بحر قزوين يجب أن يكون ع بر ممرات عبور موثوقة وأمنة، لذلك تثير متطلبات النقل في المنطقة مسألتين هامتين²⁸:

المسألة الأولى: تتطلب طرق النقل لمسافات طويلة زيادة في تكاليف الإنتاج، علاوة على رسوم العبور التي تفرضها الدول المعنية، وكلما كانت بدائل طرق نقل الطاقة أقل، كلما أدى بدول العبور لممارسة الاحتكار.

المسألة الثانية: معظم مسارات خطوط الأنابيب تلفها مخاطر سياسية، فالمر بين الشرق والغرب (فوق القوقاز، عبر جورجيا وتحت بحر قزوين والبحر الأسود) يثير مشاكل قانونية وبيئية (عبور البحار والمرور عبر البوسفور)، ثم معضلات عدم الاستقرار نتيجة المرور عبر أذربيجان وجورجيا، علاوة على الهيمنة الروسية.

- كما تواجه مسارات خطوط الأنابيب عبر تركيا تهديدات جنوب شرق الأناضول، وخطر الحرب الأهلية عبر أفغانستان، وتواجه خطوط الأنابيب عبر إيران سياسة العقوبات الأمريكية، وخطوط الأنابيب إلى الصين وهي سوق كبيرة ومنطقة عبور خالية من المخاطر لكنها طويلة وبالتالي تطرح مشكلة التكلفة المادية.

وهو ما جعل القوى الكبرى إقليميا ودوليا في حالة تنافس دائم بحثا عن ملاذات آمنه لسد حاجاتها الطاقوية، بأقل التكاليف والقدر اليسير من التنازلات سياسيا وعسكريا.

6. خاتمة

تشكل قضية خطوط الأنابيب قلقا محوريا في سياسة الطاقة في آسيا الوسطى، فمنطقة بحر قزوين مقفلة باليابسة ، بعد تفكك الاتحاد السوفيتي توجهت جميع خطوط الأنابيب نحو الشمال وربطت بشبكة خطوط الأنابيب الروسية ، ما دفع دول المنطقة والغرب في منتصف التسعينيات إلى البحث عن إمكانية لبناء شبكة جديدة لنقل الطاقة.

ويمكن إجمال أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الورقة على النحو التالي:

- الموقع الاستراتيجي الهام لآسيا الوسطى وحوض بحر قزوين، خاصة فيما تعلق بشبكات خطوط الطاقة ومساراتها في الاتجاهين "الغربي-الشرقي" و "الشمالي-الجنوبي"، واحتياجات الطاقة.
- ساهمت عوامل الانكشاف الأمني في المناطق المجاورة تحديدا جنوب آسيا والشرق الأوسط، في إعادة إحياء فكرة أطروحة قلب الأرض.
- سعي دول المنطقة بدعم فواعل خارجية لتقليص اعتمادها على البنية التحتية التي تسيطر عليها روسيا، وتهدف خطوط الأنابيب في المنطقة إلى احتواء نفوذ روسيا وإيران، وبالتالي تنويع مصادر الإمدادات.
- تنافس الفواعل الإقليمية وال دولية بسبب المصالح الجيوسياسية المتضاربة ، أثر على مسار خطوط الأنابيب.
- توفر العديد من الخيارات لنقل موارد المنطقة إلى الأسواق العالمية، وتشعب حسابات مختلف الفواعل، فالطريق الطبيعي عبر إيران لا تشجعه الولايات المتحدة الأمريكية، كما أن توسيع شبكة الخطوط عبر الأراضي الروسية يمنحها الهيمنة، حتى الصين دخلت لعبة الطاقة باقتراح لخط أنابيب في الاتجاه الشرقي.

- وفرت مشاريع خطوط الأنابيب آفاقا جديدة لتدخل الولايات المتحدة في منطقة آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين ، وأصبح حلف شمال الأطلسي الضامن الأساسي لأمن خطوط الأنابيب.
- بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، استفادت الصين من موارد الطاقة في حوض بحر قزوين من خلال بناء أنابيب النفط والغاز في آسيا الوسطى، كما استفاد فاعلون إقليميون آخرون مثل تركيا وجورجيا من مرور خط أنابيب (باكو-تبليسي-جيهان) على أراضيهم.
- إن التحكم في النفط والغاز وشبكات خطوط الطاقة في آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين، سيحدد أي من القوى ال كبرى (الولايات المتحدة أو الصين أو روسيا) ستكسب السيطرة الجيواستراتيجية على المنطقة.

الهوامش والمراجع:

¹ألبنى خميس مهدي، الأهمية الاستراتيجية لمنطقة آسيا الوسطى وبحر قزوين ومستقبل التنافس الإقليمي والدولي، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، المجلد 4، العدد 58، العراق، 2017، ص 124.

² Paulo Duarte (2014), Central Asia: The Planet's Pivot Area, p. 16.

³Serik Orazgaliyev (2019), From Conflict to Consensus: Energy Geopolitics in the Caspian Region, Middle East Insights, p. 01.

⁴ Michal Romanowski (2017), Central Asia, Russia, and China: U.S. policy at Eurasia's core, The German Marshall Fund of United States, N°28, p. 04.

⁵ Hu Bin (2014), Oil and gas cooperation between China and Central Asia in an environment of political and resource competition, China University of Petroleum (Beijing) and Springer-Verlag Berlin Heidelberg, p. 597.

⁶Mirzokhid Rakhimov (2015), Central Asia in the context of western and Russian interests, Centre international de formation européenne, N° 375, p. 141.

⁷Justyna Misiagiewiez (2012), Geopolitics and energy security in the Caspian region, TekaKom, Politol. Stos, Miedzynar, OL PAN 7, p. 64.

⁸ Luke Coffey (2019), Time for a U.S. Strategy in the Caspian, special report, the Heritage Foundation, N° 216, Massachusetts, Washington, August 19, p. 02.

⁹ Paul Kubicek (2013), Energy politics and geopolitical competition in the Caspian Basin, journal of Eurasian Studies 4, p. 173.

¹⁰ عبد الناصر سرور (2009)، الصراع الاستراتيجي الأمريكي-الروسي في آسيا الوسطى وبحر قزوين وتداعياته على دول المنطقة: 1991-2007، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 11، العدد 1، ص 51.

¹¹ Moradi Manouchehr (January 2006), Caspian pipeline politics and Iran-Eu relations, UNISCI Discussion Papers, N° 10, p. 174.

¹² يعد ثاني أطول خط أنابيب ، وواحد من أعلى خطوط الأنابيب في العالم، بتكلفة 4.6 مليار دولار ، بدأ تشغيله عام 2006 وتبلغ طاقته الإنتاجية حوالي مليون برميل من النفط يوميا، يبدأ من حقل النفط الأذري جيراق - جونشل (Chirag-Guneshli) نحو ميناء جيهان التركي على البحر المتوسط عبر تبليسي متجاوزا المضيق التركي.

¹³ ينقل خط أنابيب الغاز الطبيعي باكو - تبليسي - أ رضروم (يسمى أيضا بخط أنابيب جنوب القوقاز)، الغاز الطبيعي من حقل شاه دنيز في أذربيجان عبر تبليسي الجورجية، ويرتبط بشبكة أنابيب الغاز الوطنية التركية في أ رضروم، بدأ تشغيله عام 2006 وتبلغ طاقته الإجمالية حوالي 6 مليار متر مكعب في السنة، يتم تصدير معظم الغاز إلى تركيا، ويتم إرسال كمية صغيرة إلى أوروبا عبر خط أنابيب عبر اليونان.

¹⁴ Luke Coffey, Op. Cit, p. 28.

¹⁵ Moradi Manouchehr, Op. Cit, pp. 176-177.

¹⁶ طرق نقل الغاز في آسيا الوسطى التي لا تسيطر عليها روسيا قليلة منها خط أنابيب (باكو - تبليسي - أ رضروم)، من أذربيجان إلى تركيا، وخط أنابيب (كوربيدجي - كورت كوي) (Korpedzhe-Kurt-Kui)، وهو خط قصير ممتد من تركمانستان إلى إيران ، باستثناء ذلك جميع صادرات الغاز الطبيعي التركمانية والأوزبكية تخضع لسيطرة شركة غازروم الروسية.

¹⁷ A.K.M Iftekharul June (2011), The U.S. Role and Policy in Central Asia: Energy and Beyond, The Arts Faculty Journal, p. 41.

¹⁸ لبني خميس مهدي، مرجع سبق ذكره، ص 127.

¹⁹ Serik Orazgaliyev, Op. Cit, p. 03.

²⁰ Luke Coffey, Op. Cit, p. 28.

²¹ Bajrektarevic Anis H. (2015), The Caspian Basin: Legal, political and security concerns, pipeline diplomacy and implications for EU energy security, ARTNET Working Paper Series, No. 149, Asia-Pacific Research and Training Network on Trade (ARTNET), Bangkok, p.08.

²² K. Smith Stegen, J. Kuszniir (2015), Outcomes and strategies in the ‘New Great Game’: China and the Caspian states emerge as winners, journal of Eurasian Studies 6, p. 96.

²³ Paul Kubicek (2013), Energy politics and geopolitical competition in the Caspian Basin, journal of Eurasian Studies 4, p. 178.

²⁴ وردة هاشم علي عيد (2013)، صراع القوى العالمية حول مناطق الطاقة، الطبعة الأولى، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ص 212.

²⁵ Ahmet Tolga Turker (2012), Geopolitics of Caspian oil and gas, international journal of social sciences and humanity studies, Vol 4, No 1, p. 40.

²⁶ Ahmet TolgaTurker, Op. Cit., p. 40.

²⁷ Lusine Badalyan, Op. Cit., p. 04.

²⁸ Mehmet Ogutcu, Op. Cit., p. 13.